

## شعر

# قصائد

## فدوى طوقان

### بعيداً جداً

ما زلت أحاور ما لم يوجد  
 كي أعطيه وجود  
 وأحاصر كلّ مساحات الأمل المنشود  
 أحبسها في سجن قصيد  
 يقرع باب الصمت فيغرق هذا العالم -  
 في الموسيقى  
 وأغني أصفى أشعار الحب المتوهج -  
 للوطن الصعب المفقود  
 لكن يبقى الأمل المنشود بعيداً جداً  
 يستوطن أرض اللاموجود !!

### السؤال الكبير

ما الذي يجعل من صوتك أفقاً  
 خارج الأرض إذا ارتاد فضاءات القصيدة  
 ما الذي يجعل لي منه جناحي نورس أعلو وأعلو  
 بهما عبر محيطات وآفاق بعيدة  
 لم تنزل تقصيك عني

ما الذي يجعل من صوتك معراجاً إلى  
ملكوت باهر الضوء إذا حازيئُهُ  
أدناك مَنِّي

ما الذي يجعل منه فرحاً  
يسع الأرض وأطباق السما  
فرحاً يحتضن القلب كما  
فرخ البنت بثوب العيد والصحراء بالغيث  
إذا الغيث همي

يا صديقي  
ما الذي يجعل لي منه سكن  
وملاذئاً من ضياعي في المتاهات وأُمنأ ووطن  
ما الذي يجعل من صوتك نهرين يفيضان بأعماقي  
حنيناً وشجن

### هذا الصوت

يأتيني صوتك من أقصى أقصى الدنيا  
يمنحني الفرح ويفتح لي  
آفاق الكشف، يعمق فيّ الحسَّ -  
يوسّع فيّ مجالات الرؤيا  
ويشرّع لي أبواب الشعر  
في نبرة صوتك يأتي البعث تعود الأرض فتحيا  
تجري فيها أنهار الجئة، ينبض فيها قلب الصخر  
\* \* \*

صوتك في قلبي المأخوذ تميمة سحر  
يغرقني في بحر الضوء يغمس روعي  
في ألوان الطيف  
يحملني طي جناحيه

يرفعني فوق غمامة صيف  
 أتكاثر فيها أتندى  
 أنطلق وراء مدار الأرض  
 كيانياً روحانياً طيفاً !

## Utopia

﴿إلى (أ.ل.م) ذكرى أمسية شتائية  
 استودعتني فيها سرها الصامت﴾

قدرٌ رماك على فراغ لا تُقلِّك فيه أرضٌ  
 لا تظلك في متهاته سماء  
 قدرٌ رماك على فراغ حين أنت بسطت كفك فيه  
 صافحك الهواء  
 كم سرت فيه على تخوم الحلم نائمةً -  
 يشدك ضوء نجم كم تراءى  
 في فضاءات الأثير  
 نجم منير  
 أسقطت أنت عليه شوق الروح توق الذات -  
 كل نزوعها لمداره النائي الكبير  
 حلماً جميلاً كان  
 فرحاً وموسيقى وأشعاراً وأعياداً -  
 وشمساً أشرقت في  
 جنح ليل زمهريريّ طويل  
 حلماً جميلاً كان  
 يوتوبيا  
 اسمٌ وليس له مسمّى أو كيان  
 اسمٌ فراغٌ ما تشخص في جسد  
 استيقظي ، عودي ، افتحي عينيك لا  
 تجري وراء المستحيل  
 هذا الفراغ هو الحقيقة

ما من أحد

ما من أحد !

### إنه اللحن الأخير

ما الذي يملك أن يفعله قلبٌ  
يظل الشعر والحب قرينين من الجنِّ  
لصيقين به لا يبرحانه

ما الذي يملك أن يفعله قلبٌ على طول المدى  
هو طفل الحب ، يمضي سادراً في غيِّه  
لا يئنني عن عنفوانه

ما الذي يملك أن يفعله قلبٌ يحب الحبَّ -  
للحب وللشعر وللمعنى الجميل  
يا له قلباً حزين  
مستعيذاً برؤى الشعر ودفء الحب من  
هجمة العمر ومن وطء السنين

ما الذي يملك أن يفعله  
خافق ينبض بالشعر وللشعر عليه  
سطوة السيد والمولى الأمير

يا حياء العمر يا هذا الخجول  
إن هذا قدر العمر وهذا  
آخر الإيقاع في اللحن الأخير  
إنه اللحن الأخير

### نقطة النهاية الفاصلة

مقتلي كنت ، خلاصي  
حلمي الرحب ، صليبي

فبك عانقت وجودي  
 فبك كم طال ارتحالي  
 في أقاليم الضياع  
 ولقد كنت الوسيلة  
 غاية الغايات ، في حبيبك كم  
 تهت في أرض الغواية  
 ولكم عايئتُ في حبك اشراقة وجه الله كم  
 ظللني شجر الجنة في ظلك ، فيه -  
 كم تقلبت على نار الجحيم  
 لا تحاول ، صرت لي أيّ غريم  
 كل شيء عاد لا شيء سوى بغض عنيف  
 طلعت نبتته السوداء من حبّ عنيف

.....

انتهى الحبّ ، ومن حيث انتهى الحب ابتدا البغض  
 ولا رجعة بعد اليوم ، كلا لا تحاول

### ومضة

ومضة وانطفأت في  
 أفق العمر ولم تترك أثر  
 عبرت لمح البصر  
 وتلاشت في تلافيف الزمن  
 \* \* \*  
 ومضة وانطفأت  
 أصبحت في أفق العمر فراغاً  
 زمناً ميتاً  
 ولم تترك أثر  
 ليتها أنقت على بعض أثر  
 زفرة ، أو عبرة ، أو بعض لوعة  
 خيط حزن ، عُصّة ، ظلّ شجن

أ

صمت الشعر فلا رجع صدى  
 ليثها حين خبت  
 فتحت في القلب جرحاً  
 يرتوي من دمه الشعر ، فيهترُّ ويربو ويضيء  
 ويعيد الوهج الباهر للعمر ، يردُّ النكهة المعنى -  
 فيستيقظ إحساسي وأعلم  
 إنني ما زلت أحيا  
 خارج الموت البطيء

### أنشودة للحب

- ١ -

كان وراء البنت الطفلة  
 عشرة أعوام  
 حين دعت بصوت مغموس بالدمع :  
 حنانك خذني  
 كن لي أنت الأب كن لي الأم وكن لي الأهل  
 وحدي أنا ، لا شيء أنا ، أنا ظل  
 لا كينونة لي لا وزن  
 وحدي في كون مهجور  
 فيه الحب تجدد  
 فيه الحس تبدد  
 وأنا الطفلة تصبو للحب وتهفو  
 للفرح الطفلي الساذج  
 للنظ على الحبل وللغوص بماء البركة  
 للهو مع الأطفال  
 لتسلق أشجار الدار  
 القمع يعذبني والسطوة ترهبني  
 والجسم سقيم منهار  
 أرفع وجهي نحو سماء الليل  
 أهتف أرجو أتوسل :

خذني تحت جناحك أغثنني  
 خذني من عشرة أعوامي  
 من ظلمة أيامي خذني  
 وسَّع لي حضنك دعني  
 أتوسِّد صدرك امنحني  
 أمناً وسلاماً  
 يا بلسم جرح المحرومين  
 وخالص المطحونين المنبوذين  
 خذني!  
 خذني!

- ٢ -

يجري نهر الأيام يمر العام وراء العام  
 الطفلة تكبر والأنثى ورده بستان  
 تنفتح والأطيار تطوف  
 وتحوم رفوفاً حول الأنثى بعد رفوف  
 بعد رفوف  
 الزمن الصعب يصالحها  
 ومجالي الكون تضاحكها  
 والحب يفيض يفيض عليها  
 من كل جهات الدنيا  
 ويطوقها بتمايمه  
 ويباركها بشعائره  
 ويساقها من كوثره  
 ما أحلى الحب وما أبهاه!  
 الأنثى الوردية بعد سراها  
 وتخبَّطها في ليل متاهه  
 تتربع في ملكوت الحب تصير إلهه  
 هالات النور تتوجها  
 وتلاطفها قُبْلُ الأنسام

ما أحلى الحب وما أبهاه!  
 فيه الليلُ سماءٌ تهمني  
 تمطر موسيقى وقصائد  
 وقناديل الكلمات تصبّ الضوء على أملٍ واعد  
 ما أحلى الحب!  
 ما أحلاه حين يمسنّ شغاف القلب فيبصر ما لا  
 يبصره العقل ويدرك ما لا يدركه الفكر -  
 ويسبر ما لا تبلغه الأفهام  
 ما أحلى الحب وما أبهاه!  
 كونٌ مكتمل ومُعافى  
 لم يشظّ ولم يتمرّق  
 يتناسق فيه العمر ويمسي  
 إيقاعاً كونيّ الأنغام  
 تتماهى فيه الأنا بالأنث  
 تزهو بحوار موصول حتى في الصمت  
 ما أحلى الحب وما أبهاه!  
 يحيى بين يديه رميم  
 تندى أرض تخضّر عظام  
 فيه الزمن المسحور يقاسُ -  
 بدقات القلب المبهور  
 لا بالساعات يقاس ولا  
 بتوالي الأشهر والأعوام  
 ما أحلى الحب!